مقابلة

الدكتورة كارول نخلة:

"إذا وضعت بلدان شرق المتوسط خلافاتها السياسية جانباً، يمكنها أن تؤدي دوراً مهماً في توريد الطاقة إلى أوروبا"

عبد النور تومي

وصف البنك الدولي ذات مرة منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بأنها "أكثر ثراءً من الدول المتقدمة"، مثل هذا البيان لا يزال ساري المفعول اليوم. لم تُترجم ثروة الموارد الطبيعية في المنطقة بشكل صحيح إلى اقتصادات قوية. بالطبع، منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا هي مجموعة متنوعة من البلدان. مثلا دولة الإمارات العربية المتحدة كان أداؤها أفضل بكثير من غيرها على غرار العراق و الجزائر.

أورسام: تشهد سياسات الطاقة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تحولات تاريخية وهامة. ما هي تداعيات هذه التطورات على الوضع الجيو-سياسي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والعلاقات الاقتصادية مع القوى العالمية والإقليمية الكبرى الولايات المتحدة والصين وروسيا والاتحاد الأوروبي؟

د. كارول نخلة: على أي بلد منتج للنفط والغاز أن يشعر بالضغط الناجم عن الحرب العالمية المكثفة ضد تغير المناخ، لأنه لتحقيق التخفيض الموصى به علمياً في انبعاثات الكربون،

من هي كارول نخلة؟

أجرى د. عبد النور تومي خبير دراسات شمال افريقيا في مركز أورسام مقابلة مع الخبيرة في شؤون الطاقة الدكتورة كارول نخلة، الدكتورة نخلة تشغل منصب مديرة شركة "كريستول للطاقة"Crystol Energy، وتعمل أيضاً خبيرة خارجية لقسم الشؤون المالية في صندوق النقد الدولي، ومستشارة اقتصادية لأمانة سرّ الكومنولث. كما تعمل محاضرة مساعدة في اقتصادات الطاقة في جامعة سوري. وهي تساهم بانتظام في موقع Geopolitical Information Service، وتتولّى إدارة منظمة Access for Women in Energy غير الربحية. نخلة، محللة في شؤون الصناعة، وعملت مستشارة برلمانية خاصة في شؤون الطاقة والشرق الأوسط في مجلس اللوردات في المملكة المتحدة. ألّفت نخلة كتاب Petroleum Taxation: Sharing the Wealth (منشورات Francis&Taylor، 2008)، وكتاب Out of the Energy Labyrinth (منشورات I.B. Tauris، 2007)، الذي شاركها في تأليفه اللورد دايفد هاول، وزير الدولة السابق في وزارة الخارجية والكومنولث.

يجب تقليل استهلاكنا للوقود الأحفوري بشكل كبير. بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، حيث تعتمد اقتصادات مصدّري النفط والغاز إلى حد كبير على عائدات النفط والغاز، فإن هذا يشكل تهديدًا خطيرًا للاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. في هذا الصدد، اكتسب التنويع الاقتصادي شعوراً جديداً بضرورته.

علاوة على ذلك، فإن مركز النمو الأكثر أهمية، وربما المهم الوحيد، للطلب على النفط والغاز في السنوات القادمة هو آسيا، وخاصة الصين. وهذا يفسر لماذا يتجه مصدروا الطاقة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أكثر نحو الشرق لتأمين السوق لمنتجاتهم. ومن المثير للاهتمام، أن الولايات المتحدة التي كانت في يوم من الأيام مستوردًا رئيسيًا للنفط والغاز وبالتالي سوقًا بارزًا لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، أصبحت مُصدّرًا يستهدف أيضًا آسيا من بين دول أخرى. بمعنى آخر، أصبحت الولايات المتحدة منافسًا لدول الشرق الأوسط في سوق الطاقة العالمي.

أورسام: يؤدي قطاع الطاقة دورًا محوريًا في السياسات الخارجية لمنتجي النفط والغاز لدول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وقد زاد ذلك الدور في ظل الحرب الروسية الأوكرانية المستمرة. ما هو رأيكم في الأدوار المستقبلية لهذه البلدان في سياسة الطاقة العالمية؟

د. كارول نخلة: لقد نتج عن الغزو الروسي لأوكرانيا ديناميكيات مثيرة للاهتمام ذات تأثير دائم على أسواق الطاقة العالمية ومصدري النفط والغاز في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، خاصة إذا كانت عقوبات الاتحاد الأوروبي على صادرات الطاقة الروسية فعالة تمامًا. كون روسيا أصبحت عضوًا في أوبك+ منذ كانون الأول/ ديسمبر 2016؛ بينما تجاوز عمر هذا التحالف العديد من توقعات المحللين, ففي أذار/ مارس 2020 على سبيل المثال, أبدت الإمارات العربية المتحدة استيائها من المعاملة "الخاصة" لبعض الأعضاء في أوبك+ (كانت تقصد روسيا بشكل رئيس). في تموز/ يوليو2021 كانت هناك أيضًا أصوات قوية في روسيا ضد هذا التحالف، ولا سيما عندما أسهم ذلك التحالف في خسارة الحصة السوقية للنفط الروسي.

اليوم، إذا فقدت روسيا إمكانية الوصول إلى أهم أسواق الطاقة في أوروبا، فستظهر ديناميتان مثيرتان للاهتمام:

1- ستوجه روسيا نفطها وغازها أو على الأقل جزءًا منه إلى آسيا، وهي بالفعل سوق مهمة لمنجي النفط في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

2- سيحاول بعض المنتجين في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا سد الفجوة الكبيرة التي قد تتركها روسيا في أوروبا، وهي السوق التي يتطلع إليها منتجون آخرون مثل الولايات المتحدة بشدة.

كان تأثير الحرب الروسية-الأوكرانية على أسعار النفط والغاز مفيدًا حتى الآن للمنتجين في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، الذين كانوا ضمن البلدان القليلة التي شهدت ترقية توقعاتها الاقتصادية من خلال تقرير آفاق الاقتصاد العالمي الصادر عن صندوق النقد الدولي في شهر نيسان/ أبريل، حيث تُرجمت الأسعار المرتفعة إلى مكاسب كبيرة غير متوقعة لتلك الاقتصادات. ومع ذلك، فإن خطر انخفاض الطلب العالمي على النفط ما زال حقيقياً وقائماً، لأن الاقتصاد العالمي الآن يشعر بعبء الحرب في أوكرانيا، ولا سيما من حيث تضخم أسعار السلع. في حالة تجسيد مخاوف الركود الاقتصادي، يجب أن نتوقع انخفاض أسعار الطاقة.

أورسام: هناك تقارير إخبارية تتوقع أن تصبح الولايات المتحدة أكبر مصدّر عالمي للغاز الطبيعي المسال (LNG) في العالم بحلول نهاية هذا العام (2022) ، ما مدى صحة هذه التقارير؟ وماهي تداعيات ظهور الولايات المتحدة كمصدر عالمي رئيسي للغاز الطبيعي المسال على وضع المصدرين الرئيسيين

المتبقيين للغاز الطبيعي المسال في سوق الغاز الطبيعي العالمي؟ مثل: الجزائر وقطر وإيران وروسيا.

د. كارول نخلة: لقد أحدثت ثورة النفط الصخري في الولايات المتحدة ثورة حقيقية في أسواق الطاقة العالمية، ليس فقط لأن الولايات المتحدة أصبحت مُصدِّرًا رئيسي للنفط والغاز. في الواقع حتى قبل أن تبدأ الولايات المتحدة في تصدير فائض إنتاجها، بدأ تأثير الثورة محسوسًا في الأسواق العالمية. على سبيل المثال أسواق الغاز في أوروبا. كان لا بد من تحويل الغاز الطبيعي المسال الذي كان متجهًا في الأصل إلى النفط الصخري الأمريكي إلى أسواق أخرى (أوروبا بشكل أساسي) لأنه لم يعد مطلوبًا بعد الآن في الولايات المتحدة ما بعد الصخر الزيتي. أجبرت الإمدادات الإضافية من الغاز الرخيص نسبيًا المصدرين التقليديين، بما في ذلك روسيا، على إعادة النظر في الشروط التي يبيعون بموجبها غازهم، بجعل عقودهم أكثر مرونة على سبيل المثال.

كما كانت ثورة النفط الصخري هي التي أثرت على قرار أوبك بالتخلي عن جميع القيود بين عامي 2014 و2016 على أمل القضاء على تهديد النفط الصخري الباهظ الثمن آنذاك. لكن النفط الصخري ثبت أنه أكثر مرونة, مما أدى إلى تحالف أوبك + في كانون الأول/ ديسمبر 2016. بات من الواضح أن الولايات المتحدة تبرز كفائزًا من أزمة الطاقة في أوروبا بعد كل شيء, كان الغاز الروسي منافسًا جادًا وكان "نورد ستريم2 " سيجعل الصادرات الروسية إلى أوروبا أكثر قدرة على المنافسة مع الغاز الطبيعي المسال الأمريكي. هذا لن يحدث بعد الآن!

أورسام: يبدو أن منطقة البحر الأبيض المتوسط على وشك مزيد من الأزمات الإقليمية بشأن موارد الطاقة، بما في ذلك تركيا واليونان وقبرص ومصر ولبنان وسوريا وإسرائيل. هل ستصبح منطقة البحر الأبيض المتوسط منطقة صراع تجعل منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تعرف المزيد من التوترات وانعدام الاستقرار؟ أم أن الدول المتصارعة ستبحث عن طريقة أفضل لتقاسم مورد الطاقة هذا في أعقاب الحرب الروسية الأوكرانية؟

د. كارول نخلة: منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط منقسمة سياسياً، ومن غير المرجح أن يتغير هذا الواقع في وقت قريب. وقد أثر ذلك على تنمية الموارد الهيدروكربونية في المنطقة والتي تم اكتشافها في نفس الوقت تقريبًا، مثل تلك الموجودة في شرق إفريقيا. ومع ذلك، فإن شرق إفريقيا ولا سيما موزمبيق في مرحلة أكثر تقدمًا من حيث الانضمام إلى نادي كبار مصدري الغاز. بالمقابل، لا تزال دول شرق البحر الأبيض المتوسط تناقش وسائل وطرق لاستغلال اكتشافاتها تجاريًا. إذا وضعت بلدان شرق المتوسط خلافاتها السياسية جانبا، يمكنها بالتالي أن تلعب دورًا مهمًا كمورد طاقة لأوروبا. ومع ذلك مع استمرار الحرب رسمياً بين إسرائيل ولبنان من جهة والنزاع المستمر بين تركيا وقبرص واليونان من جهة أخرى عندها يبقى سقف التوقعات منخفضة.

أورسام: منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا هي واحدة من أغنى مناطق العالم من حيث موارد واحتياطيات الطاقة، ومع ذلك، لا يزال شعوب المنطقة يعانون من الفقر والبطالة. ما هي أسباب هذا التناقض؟ هل هناك وصفة إستراتيجية ناجعة من أجل التطورات الاقتصادية، لا سيما الارتفاع الحاصل في أسعار الطاقة في جميع أنحاء العالم؟

د. كارول نخلة: وصف البنك الدولي ذات مرة منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بأنها "أكثر ثراءً من الدول المتقدمة"، مثل هذا البيان لا يزال ساري المفعول اليوم. لم تُترجم ثروة الموارد الطبيعية في المنطقة بشكل صحيح إلى اقتصادات قوية. بالطبع، منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا هي مجموعة متنوعة من البلدان. مثلا دولة الإمارات العربية المتحدة كان أداؤها أفضل بكثير من غيرها على غرار العراق و الجزائر. لكن في تلك البلدان التي تأخرت من حيث التقدم الاقتصادي على الرغم من ثروتها الهيدروكربونية، يرجع سبب ذلك إلى سياسات ضيقة الرؤية ومؤسسات ضعيفة وظاهرة الفساد على سبيل المثال لا الحصر. حتى لو تم الإعلان عن الإصلاحات في تلك البلدان، فإنها تكتسب المسار في البداية، لكن الحماس حولها يتلاشى بسرعة. بالنسبة لتلك البلدان فإن المفتاح هو بناء إطار مؤسساتي قوي لتحسين إدارة قطاع النفط والغاز وكذلك الاقتصاد الكلي. ■

عبد النور تومي: باحث وأكاديمي من الجزائر، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية، خبير في قسم دراسات شمال افريقيا في مركز أورسام.